الجمهورية العربية السورية

وزارة التربية

المركز الوطني للمتميزين

حلقة بحث بعنوان :

الرموز الأسطورية في شعر محمود درويش

الطالب :زيد ناصر

إشراف: الأنسة سوسن خلف

الفهرس

المقدمة :التعريف بالأسطورة الشعرية.....٣

الفصل الأول.....٤

الفصل الثاني.....٧

الفصل الثالث.....٩

الخاتمة.....١٤

المصادر والمراجع.....١٥

المقدمة

محمود درويش هو شاعر عربي فلسطيني ولد عام ١٩٤١ في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا خرج مع أسرته برفقة اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨ إلى لبنان ثم عادوا متسللين عام ١٩٤٩ انتسب إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي بعد المرحلة الثانوية وعمل في صحافة الحزب. اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مراراً و تكراراً بتتهم تتعلق بالنشاط السياسي وتصريحاته ثم توجه إلى الاتحاد السوفيتي للدراسة ثم لاجئاً للقاهرة ثم لبنان و أسس مجلة الكرمل له عدة دواوين " أثر الفراشة ، عاشق من فلسطين، آخر الليل ، أحبك أو لا أحبك ، و داعاً أيتها الحرب وداعاً أيها السلام " .

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٨ بعد أجرائه لعملية القلب المفتوح في مركز تكساس الطبي في هيوستن .

ويعود اختياري هذا البحث نظراً لقيمة محمود درويش و مكانته في الثقافة العربية و لنفسر المعنى الكامن وراء رموزه و بالتالي لنجسدها ونحقق غايته بإذن الله.

الإشكالية:

- **كيف حوّل درويش الرموز التاريخية والدينية إلى رموز تحكي واقع الفلسطينيين ؟**
- **ما هي الأشكال التي استخدمها درويش لتوظيف الأسطورة؟**

الفصل الأول : استخدم محمود درويش رموز الدين اليهودي سلاح ضد الصهيونية :

للأسطورة تأثير كبير على عقول الناس ونفوسهم بمعنى أكثر إجمالا "حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معان ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان (علي ١٩٩٩:١) واستخدام الاسطورة في الشعر بشكل عام يكون عوناً في إبراز المحتوى الخفي لأمر ما و الكشف عما فيها من غموض أو أن استخدامها تعبير ذكي عن أمر ما والمهم أنها تعطي العمل الشعري تشويقاً و إثارة تجذب القارئ لفك رموز هذه الأسطورة "فالأسطورة ليست حجراً في مهب الريح بل هي ومنذ نشأتها حنين يرتبط بالإنسان و وضعه الخاص و ما واجهه من ضغوط طاحنة وهي بالتالي تجسيد لخصائصه النفسية" (العلاق ١٩٩٧:٢٣) ولذلك حظيت بأهمية خاصة في شعر درويش باعتبارها مصدراً ثقافياً وكمية هائلة لثقافات شعوب العالم وليكون جمال شعره الممزوج بالرموز الأسطورية الخالدة نقلاً لعذاب شعبه و وسيلة مشوقة تجذب القراء لما يحدث في فلسطين وما يعانونه من اضطهاد من خلال روائع شعر هذا العملاق لتثبت للعالم عبقرية العرب و ذكائهم.

و درويش كشاعر فلسطيني فإن هدفه الأول وشغله الشاغل محاربة محتلي بلاده الصهاينة فقد فرض عليه منهاج تعليم صهيوني فأصبح يتحدث العبرية وأيضاً هو مطلع بشكل كبير على الثقافة الصهيونية و قام بدراسة التوراة. وهنا بدأ درويش إبداعه بتحويل هذه المعلومات إلى رموز فنية فكثير من الأنبياء تعرض للتعذيب والاضطهاد فهو يخاطب سيدنا حبقون الذي دعى الله قائلاً "حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم ولا تخلص لماذا تريني الإثم وتجري قدامي الاغتصاب ويحدث الخصام ويقوم النزاع".[مجلة الطريق_ العدد (١٠-١١ ص ٥٦)]

فالاضطهاد والاغتصاب موجودان منذ عهد الأنبياء وهذا ما نراه في الحوارية الآتية:

آلو .. هالو !

أموجود هنا حبقون ؟

نعم من أنت ؟

أنا يا سيدي عربي

وكانت لي يد تزرع

...

كفى يا بني !

على قلبي حكايتكم

على قلبي سكاكين (الديوان مج١:١٥٢)

فلقد أعاد بهذا الحوار صناعة التاريخ الخاص به ، ليدل على عذاب الفلسطيني فكل العذاب الذي لاقاه النبي حبقون ومع ذلك يحزن عند معرفة ما يحدث للعرب

و أيضاً تناول رمز بابل استوحى فيه نكبة اليهود، أبرز من خلاله

الشعور القاسي بالشتات الذي يعاني فيه الفلسطينيون حتى اليوم من جراء تهجيرهم وطردهم من

وطنهم. لذا تأخذ الرموز اليهودية عند درويش بعدًا جديدًا حين يستلهم كل التراث الفلسطيني

على أرض فلسطين، بما فيه التراث اليهودي والمسيحي باعتباره نتاج هذه الأرض

كما هنا في مقطوعته (السابعة عشرة أحبك أو لا أحبك) :

يا أطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريبًا

وقريبًا تكبرون

وقريبًا تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

وقريبًا يصبح الدمع سنابل

آه يا أطفال بابل

ستعودون إلى القدس قريبًا

وقريبًا تكبرون

هللويا(١) (الديوان مج ١:٤٠٠)[١]

فاليهود عُذِبوا و احتُلَوا من قبل البابليين في القرن السادس قبل الميلاد وهنا الشاعر يرمز إلى أطفال فلسطين بأطفال بابل و أنهم كما دخلوا القدس منتصرين قديماً سيدخلوها قريباً منتصرين وسيعمرونها وستكون دموع فرحهم سنابلاً تنبت لتدل على بداية حقبة جديدة تتميز بالسلام و المحبة و العيشة الكريمة. ومن معتقدات درويش التي عبر عنها في شعره أن أورشليم (القدس) وهيكلها بل توراتها هي كنعانية وليست عبرانية إذ كل ما على هذه الأرض الكنعانية ضمن تراثها كما في قوله:

عادوا إلى ما كان فيهم من منازل، واستعادوا

قدم الحرير على البحيرات المضيئة، واستعادوا

ما ضاع من قاموسهم: زيتون روما في مخيلة الجنود

توراة كنعان الدفينة تحت أنقاض الهياكل بين صور وأورشليم (الديوان، مج ٢:٤٢٨)

[١] هللويا : لفظ ورد في التوراة نشيد جماعي أوجوقة يتردد "صداه في نهاية الفقرة خاتمة الأصحاح .

الفصل الثاني : توظيف الرموز التراثية العربية لنقل واقع فلسطين

وسنذكر هنا كيف استخدم درويش شخصية المتنبي في قصيدة له بعنوان "رحلة المتنبي إلى مصر " حيث يستخدم المتنبي كقناع في قصيدته الذي يعاني من أزمة داخلية تتعلق بتحقيق طموحه و وصوله إلى مستوى العظمة الذي يستحقه لكن درويش يحول هذه الأزمة الفردية في قصيدته إلى أزمة جماعية تخص العرب وأمتهم المتمزقة فتجرأت الأمم الأخرى عل احتلال أرضها وتشريد أبنائها :

للنيل عاداتٌ

وإني راحلٌ

أمشي سريعًا في بلاد تسرق الأسماء مني

قد جئت من حلب، وإني لا أعود إلى العراق

سقط الشمالُ فلا ألاقي

غير هذا الدرب يسحبني إلى نفسي ... ومصر

كم اندفعت إلى الصهيلْ

فلم أجد فرسًا وفرسانًا

وأسلمني الرحيل إلى الرحيلْ

ولا أرى بلدًا هناك

ولا أرى أحداً هناك

والأرض أصغر من مرور الرمح في خصر النخيل (الديوان مج ٢:١٠٧)

فكما ذكرنا وكما يتضح من النص فإن المتنبي في القصيدة حزنه على مصاب أمته وليس حزناً فردياً وهنا فإن الفرج له مصر ويرجع استخدام درويش لشخصية المتنبي لعدة أسباب أولها كون المتنبي أحد رموز العرب العريقة وليظهر الفرق بين حال العرب قديماً الباحثين عن الإنجازات وتحقيق طموحاتهم وحالهم الآن الممزقة غير المستقرة .

الفصل الثالث : أشكال توظيف درويش للأسطورة :

- **التوظيف الرمزي البسيط للأسطورة:** عندما تشغل الأسطورة حيزاً بسيطاً في نسج القصيدة أو قد تكون كرمز بسيط للتعمية على الرقيب فالموت يشغل حيزاً مهماً في كتابات درويش ليس للدلالة عليه باسمه بل مطالبةً بالحرية المفقودة فالإنسان منذ الأزل يسعى للخلود وأولى الأساطير التي توضح ذلك أسطورة جلجامش حيث تكون أمه إلهاً أبوه بشري ولكن كونه ثلثي إله وثلث بشري لن يجعله خالداً لذلك يحاول البحث عن عشبة الخلود حتى يجدها لكن الأفعى تأكلها فيغضب كثيراً ويعود إلى مدينته أوروك حزيناً وبعد أن يتفكر بما حدث معه يجد أن الخلود ليس في تلك العشبة بل بالذكر الحسن الذي سيحصل عليه بعد وفاته لذلك عليه ان يعمر مدينته ويقدم الخير لشعبه ففي قصيدته "فرس للغريب" لا يقصد الإشارة إلى جلجامش بشخصيته بل إلى المعنى الأسطوري فهو يستخدم رمز جلجامش من ناحية أخرى ليرثوا أحلامه من خلال الإشارة إلى خيبة أمل جلجامش في إيجاد سر الخلود. كما في قوله:

لنا ما علينا من النحل والمفردات .. خلقنا لنكتب عم

يهددنا من نساء وقيصر .. والأرض حين تصير لغةً

وعن سر جلجامش المستحيل لنهرب من عصرنا

إلى أمسِ خمرتنا الذهبي .. وذهبنا وسرنا إلى عمر حكمتنا (الديوان، مج٢:٥٥٣)

- **التوظيف الصريح للأسطورة :** في هذه الحالة يتقنع الشاعر بقناع شخصية ما ويتفاعل الشاعر مع القناع وذلك ليتمكن الشاعر من التعبير عن مفاهيم ومعاني من الصعب أن يفعل ذلك بوجهه فيستخدم الرمز الأسطوري لإعطاء تشويق وتجديد للقصيدة كما في قصيدة أنا يوسف يا أبي:

أنا يوسف يا أبي .....يا أبي إخوتي لا يحبونني ولا يريدونني بينهم يا أبي.....يعتدون علي ويرمونني بالحصى والكلام يريدونني أن أموت لكي يمدحونني .....وهم أوصدوا باب بيتك دوني .....حين مر النسيم ولاعب شعري غاروا وثاروا علي و ثاروا عليك.....فماذا صنعت لهم يا أبي؟

(الديوان مج ٢:٣٥٩)

هنا اتخذ درويش من سيدنا يوسف عليه السلام قناع حيث وضح علاقة يوسف بأخوته التي هي تشبه علاقة الأمة العربية بفلسطين وكم عانت فلسطين والعرب يشاهدون والمعنى الذي أراده من التساؤل في نهاية القصيدة ما المشكلة في انتساب فلسطين للعرب ؟و وظيفة الرمز هنا هو قدرة الإمطار والتجدد والتشويق

- **التوظيف الضمني للأسطورة:** عندها لا ترد الأسطورة بنصها لكنها تكون بمثابة الخلفية الدلالية للقصيدة أي تكون مخبأة بين المعاني فلا يذكر ما المعنى المراد ذكراً علنياً كما في قصيدة "في انتظار العائدين"

أكواخ أحبابي على صدر الرمال
وأنا مع الأمطار ساهر
وأنا ابن عوليس الذي انتظر البريد من الشمال
ناداه البحار. لكن لم يسافر
لجم المراكب و انتحى أعلى الجبال..... (الديوان مج ١:١٠٧)

وهنا يستخدم الشاعر قناع تليماج بي عوليس الذي ينتظر قدوم أبيه ويقضي وقته عند الموانئ ينتظر السفينة المطلوبة وعلى الرغم من استخدامه القناع كما في الشكل السابق لكن هنا يقصد تليماخ المتعلق بأمه "نبيلوب" والتي هي بالنسبة لدرويش أمه فلسطين المتمسك بترابها أما أبوه المنتظر هو النصر الحرية المنشودة فهنا لم يذكر ما أراده من ذكر هذه الأسطورة وإنما كان ضمنياً .

وهذه القصيدة بالتحديد تحمل الكثير من المعاني الإنسانية والقيم على الرغم من خصوصيتها إلا أن مطالب الحرية و إثبات الوجود مهما تخصصت هي واحدة

- **التوظيف الابتداعي للأسطورة:** هي الأسطورة التي يخترعها الشاعر و يبدعها ثم يضفي عليها ثوب الأسطورة فالشاعر تأثر بحصار بيروت وخروج الفلسطينيين من بيروت عام ١٩٨٢ إلى البحر الأبيض المتوسط وهنا كان "البحر" المحور الأساسي الذي جعله الشاعر أسطورياً بتذكره رحلة عوليس في بحر إيجه كما في قصيدة بيروت:

إن هذا البحر يترك عندنا أذانه وعيونه

ويعود نحو البحر بحرياً (الديوان مج ١:٢٠١)

وعودة البحر بحرياً هي عودة الفلسطيني إلى السفينة التي حملت عوليس من جديد أي المقصود عودة الفلسطيني للحصول على أرضه وأيضاً استخدامه البحر يعود لأن الشعب الفلسطيني شعب بحري هاجر من جزيرة كريت في البحر المتوسط من أصول أغريقية وهنا يؤكد الخلفية التاريخية للبحر في حياة شعبه:

نم يا حبيبي ساعةً

لنمر من أحلامك الأولى إلى عطش البحار إلى البحار (الديوان مج ٢:١١)

وعطش البحار للبحار هنا أن يتذكروا أصولهم ليتمسكوا بحاضرهم وأرضهم فهم شعب لديه ماضٍ عريق لن يسكت عن حقه وسيركب سفينة عوليس التي ستوصله إلى المحطة الأخيرة (استقلاله) :

والبحر دهشتنا وهشاشتنا

وغربتنا و لعبتنا

والبحر صورتنا

من لا بحر له

لا بر له

بحر أمامك ،فيك، بحر ورائك

فوق هذا البحر بحر ، تحته بحر

وأنت نشيد هذا البحر

وهل يجد المهاجر موجة

يجد المهاجر موجةً غرقت فيرجعها معه (الديوان مج ٢:٦٨)

هكذا لم يكن البحر بلالته المادية بل بالمعنوية فهو أسطر ما يعنيه البحر له ولشعبه .

- ***التوظيف الممنهج للأسطورة:*** نستطيع تمييز هذا العمل من خلال البنية التركيبية للقصيدة فهو يقوم على إضافة معاني جديدة للألفاظ التي يستخدمها الشاعر من خلال الربط بين علاقات يقيمها في القصيدة بحيث تخدم العمل الشعري الذي يريد إيصاله كما في قصيدة "الخبز"، وهي رثاء للرسام الفلسطيني إبراهيم مرزوق. فالخبز في القصيدة جاء

رمزًا لأساس الطعام والخير والعطاء، وللشرف

والبقاء، وللشتاء وللأمن والأمان، ورمزًا للفعل للارتباط بالأرض، ورمزًا للحرب والسلام، و المحبة و ربما استحال أيضاً إلى رمز للحياة كلها.

فمرة يكون الخبز رمزًا للكرامة، وعزة النفس:

وغمست خبزي في التراب

وما التمست شهامة الجار (الديوان ، مج ١:١٦)

ومرة يكون رمز للوطنية والانتماء، والالتصاق بالحياة والناس:

لا تقل لي :

ليتني بائع خبز في الجزائر

لأغني مع ثائر (الديوان ، مج١:٤٤)

ومرة، يكون الخبز رمزًا للمحافظة على الشرف، والأنفة، والإصرار على الحق :

سجل أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

أسل لهم رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك (الديوان، مج١:٧٤)

ومرة أخرى، يكون الخبز رمزًا للماضي، والأمومة، والمكان، والطفولة:

أحن إلى خبز أمي

وقهوة أمي

ولمسة أمي (الديوان ، مج١:٩٣)

ولم يقف درويش عند الخبز بل أيضاً رمّز القمح والشعير (مواد الخبز الأولية) :

إلى أين يا صاحبي؟

إلى حيث طار الحمام فصّفق قمح وشق السماء

ليسند هذا الفضاء بسنبلة في الجليل

فلتواصل نشيدك باسمي (الديوان، مج ٢:٩٠)

فموطن القمح في القصيدة هي فلسطين .

الخاتمة :

إن رموز درويش الحديثة سوف تتحول مستقبلاً إلى رموز تاريخية فهو استخدم مهاراته الفنية في ابتداع رموز أسطورية خاصة من العامة من خلال أسطرة الأحداث والأبطال وأيضاً أسطرة الأساطير بطريقته الخاصة ونلاحظ من خلال هذا البحث أن العنصر الأساسي الذي يجذب الناس إلى شعر درويش هو توظيفه لمعنى الأسطورة أو إعادة صياغتها بما يتناسب مع مبتغاه الأول وهو طرد الصهاينة من فلسطين حيث لا يقوم بالتركيز على شخصيات الأسطورة أو توثيقها .و يسوغ محمود درويش استخدامه لرموز الدين اليهودي : "إنني أعتبر نفسي كفلسطيني، وكنتاج هذه الأرض الفلسطينية أحد الذين يملكون حق أن يرثوا كل تاريخ الإبداع والثقافة الذي جرى على هذه الأرض، ومنها التوراة "(دفاتر ثقافية٥:١٩٩٦) فنجد أن الرموز التاريخية والدينية تختلط عند درويش فمن خلال تمكنه من استخدامها براهن ضد الصهاينة نجد أنهم لا ينتمون إلى الدين اليهودي حتى وهذا ما يحاول درويش توضيحه فهم أعداء الله واجبنا طردهم.

المصادر والمراجع :

- أبو علي ، نبيل :١٩٩٩ ، الفرق بين الأسطورة والخرافة والتاريخ، مجلة كلية الآداب ، جامعة حلوان العدد الخامس
- الرموز التاريخية والدينية في شعر محمود درويش، د. محمد فؤاد السلطان مجلة جامعة الأقصى العدد المجلد الرابع عشر العدد الأول
- العلاق ، علي :١٩٩٧ ، الشعر والتلقي ط١ القاهرة
- الكتاب المقدس
- درويش، محمود، ١٩٩٦ : ديوان محمود درويش، ط ٤، مج ١، دار العودة ، بيروت
- دفاتر ثقافية ، رام الله ، العدد ٣١، ص ٥٠
- ١٩٩٤ : ديوان محمود درويش، ط ١، مج ٢، دار العودة، بيروت. ، ١٤.